من كوتشيلا إلى القاهرة العثمانية: الرقصة التي قتلت تاريخاً!

17 أبريل 2025

أدب وسخرية

5 دقيقة قراءة

من كوتشيلا إلى القاهرة العثمانية:
الرقصة التي قتلت تاريخاً!

عندما يُحيي "نمبر وان" مهنة "الخوال-الخول" المنقرضة دون أن يدري ما معناها... ويظن نفسه فرعوناً فيكشف أنه مجرد صدى لأسوأ موروث مهني في التاريخ المصري!

منذ قرنين، كان هناك رجال يرتدون "صديرية-ستيانة" مكشوفة، وسلاسل ذهبية، ويرقصون متأنثين للترفيه... يسمونهم "الخوال" واليوم، يظهر محمد رمضان بنفس المظهر بالضبط - ويدّعي أنه "فرعون معاصر"! والتاريخ يتلوى من الضحك!

"الخوال" ظهروا في مصر عام 1834 حين منع محمد علي باشا الراقصات. كانوا رجالاً مؤنثين يرقصون بدلاً من النساء لأن المجتمع كان بحاجة

لـ"رقص" ولـو علـى حسـاب الرجولـة! (تـذكرك الحكاية بشيء في 2025؟)

الصدمة القاسية: لم يكن "الخوال" سوى عبيد وخـدم فـي الأصـل! المعـاجم توثـق أن الكلمـة تعني "الخادم" و"المملوك" و"التابع" بينما يظن "نمبر وان" أنه يرتدي زي الفراعنة! ما تسمونه "نجومية" نسميه "جهل تاريخي مدمر"!

عـن وصـفهم الـدقيق: قـال أحـد المسـتشرقين الإنجليز (1835) إنهم "يشبهون النساء في كل شــيء، يكحّلــون أعينهــم، يزينــون أنفســهم بـالمجوهرات"... يبـدو أن مصـمم أزيـاء رمضـان استند لكتاب "الخوال في العصر العثماني" لا "الفن الفرعوني"!

الأمر أقسى مما تتخيلون! "الخوال" تحولوا تدريجياً من وصف مهني لشتيمة! فكلمة "خول" في اللهجة المصرية اليوم من أشد الإهانات التي تُطلق على الرجل! وهذا هو الزي الذي اختار "نمبر وان" أن يمثل به مصر عالمياً!

مفارقة تقتلها السخرية: مقدم شخصيات البلطجي العنيف "عبده موتة" و"رفاعة الدسوقي" يطلع للعالم مرتدياً زي من كانوا في أسفل سلم المجتمع سمعةً! كأن دكتور جراح القلب يذهب لنوبل مرتدياً ملابس "خول"!

المأساة أبشع: مع تطور المجتمع المصري أواخر القرن 19، اندثر "الخوال" كمهنة، ولكن بقي المصطلح كإهانة! تحول من مهنة لشتيمة للرجل غير المتزن في ذكورته! رمضان، وهو

يرقـص متباهيـاً بعضلاتـه، اسـتدعى لا شعوريـاً وصماً اجتماعياً مهينًا (الخول)!

طبقاً للوثائق التاريخية: "الخوال" بحلول 1900 تحولـوا إلـى رمـز للإهانـة المجتمعيـة. الـدراسات تؤكد أن المصطلح انتقل من "راقص متأنث" إلى "شتيمـة جنسـية قاسـية: الخـول" فـي العصـر الحديث! وهذا ما رفع "نمبر وان" علم مصر متزيناً بزيّه!

المضحـك المبكـي: زي "الخـوال" كـان صـناعة اضطراريـة فـي عصـر العثمـانيين لمنـع ظهـور المـرأة. اليـوم، "نمـبر وان" يعيـد إحيـاءه علـى مسرح عالمي "باختيارهم"! هناك يرقصون لأنهم

مجبرون، وهنا يرقص لأنه "خول نمبر ون"!

هل يعلم محمد رمضان أنه بـ"الستيانة الذهبية" أحيا مصطلحاً وصل ذروة الإهانة في اللهجة المصرية؟ "الخول" - التطور اللغوي لـ"الخوال" - صار من أقذع الشتائم الشعبية! وإذا سألتموه عن الفراعنة، سيقول: "الفراعنة كانوا يلبسون ستيان"!

الأمر تجاوز الفن ليصبح وثيقة اجتماعية: الدراسات تؤكد أن كلمة "خول" في الثقافة الشعبية المصرية تعادل "فاجوت" (Faggot) الإنجليزية من حيث الإهانة! وهذا هو الزي التاريخي الذي استحضره "نمبر وان" مع صدره العاري والكحل والذهب!

الصدمة الاستشراقية: السائحون الأوروبيون في القرن 19 وثّقوا دهشتهم من "الخوال" واعتبروهم "غرائب الشرق"! واليوم، "نمبر وان" يؤكد لهم أن صورهم النمطية صحيحة، ويمنحهم "خول كوتشيلا" مادة حية ليسخروا من 7000 سنة حضارة!

المشكلة المزمنة: "الخوال" اندثروا بعد عودة الراقصات الحقيقيات للمشهد. وهذا يثير سؤالاً مرعباً: هل كل ما كان يعيقنا عن رؤية الفن الحقيقي هو محمد رمضان كـ"خول مهرجان كوتشيلا"؟!

وللتاريخ: عندما عرضوا فيلم "زقاق المدق" عام

1963، استخدموا شخصية "الخوال-الخول" لتمثيل أقصى درجات الانحلال الأخلاقي! واليوم، يرفع "نمبر وان" علم مصر متزيناً بزيهم التاريخي الصريح! وبعد يقولون: "ليش تثيرون الجدل؟"

في ختام مقال"الخوال إلى الخول": المصري النيء لا يصير فرعونًا بمجرد ارتداء ستيانة ذهبية. ربما الدرس الأقسى هو أن من يجهل تاريخه يكررهـ... لكن بطريقة أكثر سخافة!

هكذا، وبكل بلاهة تاريخية، تحوّل "نمبر وان" طوعاً إلى "نمبر خول" على المسرح العالمي!